

الأمثال في القرآن الكريم

(105) وعلى ضوء هذا فالمثل بمعنى الوصف - وقد تقدم منّا القول - بأنّ من معاني المثل هو الوصف. فقوله: (وَلَمَّا يَأْتِ تِكُمْ مِثْلَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبُاسُ وَالضَّرَاءُ)، أي "لمّا يأتكم وصف الذين خلوا من قبلكم" فلا يدخلون حظيرة الإيمان الكامل إلاّ أن يكون لهم وصف مثل وصف الذين واجهوا المصائب والفتن بصبر وثبات وعانوا الكثير من القلق والاضطراب، كما قال تعالى في حقّ المؤمنين: (وَزَلْزَلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا) ففي خصم هذه الفتنة التي تنفذ فيها طاقات البشر، فإذا بالرحمة تنزل عليهم من خلال دعاء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وصالح المؤمنين، كما قال سبحانه: (وَزَلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ) والجملة ليست إلاّ طلب دعاء للنصر الذي وعد الله به رسوله والمؤمنين بهم واستدعاءً له، كما قال تعالى: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْغُلَامِ رَسُولَيْنَا * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ) (1)، وقال تعالى: (كَتَبَ الْغُلَامُ لَا غَوْلَىٰ بِنِّائِنا وَرَسُولُنَا) (2) يقول الزمخشري: ومعناه طلب الصبر وتمنّيه واستطالة زمان الشدة، وفي هذه الغاية دليل على تناهي الأمر في الشدة، وتماديّه في العظم... فإذا لم يبق للرسول صبر حتى صجّوا، كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها. وعند ذلك يخاطبون بقوله سبحانه: (ألا إنّ نصر الله قريب) أي يقال لهم ذلك إجابة لهم إلى طلبتهم من عاجل النصر. (3) ثمّ إنّ القراءة المعروفة هي الرفع في قوله: (حتّى يقول الرسول)، وعند ذلك تكون الجملة لحكاية حال الّاّم الماضية. وقرئ بنصب "يقول" و على _____ 1 - الصافات: 171-172. 2 - المجادلة: 21. 3 - الكشاف: 1|270 في تفسير الآية.